

٣ - دانتى أليجييرى

والكوميديّة الالهية

وأبو العلاء المعرى ورسالة الغفران

المطهر Purgatorio^(١)

(١) تنفس دانتى صعداء حين انتهى من دركات الجحيم ،
 وحين هب عليه أول أنفاس الذجر المنسج النّدى ؛ ونظر فرأى
 نجوماً أربسة تتألق في بنفج السماء ، ولجةً صاخبة ترعى وتريد
 حول جزيرة نائية ، ينهض فوقها جبل شامخ رفيع الذرى ،
 كأنما يحمل القبة الأنثوية بروّقه ؛ وسأل عنه فرجيل فأبناه أنه
 جبل المطهر ، وأنها لا بد موقلان فوقه ، ليصلوا منه إلى الفردوس
 ويلتفتان فيريان شبحاً ميمماً شطرها ، وإذا هو شبح كاتو من
 يوتيكا ، أقبل ينذرهما بما يبنى لهما أن يترودا به من الايمان
 والصبر في سفرتهما الشاقة في أحياذ الجبل ، وفوق صياصيه .
 ويتقدمان من الشاطى فينضح فرجيل الماء على وجه دانتى ،
 ويلف حول خصره قصبه مما يثبت فوق الشاطى^(٢) وما يكادان
 يفرغان حتى يرا زورقاً يثب في البمد فوق نواصى الموج ،
 وفيه ملك كريم يجريه بين المدّ وتين ؛ وبين يدي الملك أرواح
 الموتى ، أقبلت من الدار الفانية إلى دار البقاء ؛ ويتبين دانتى بينها
 روح صديقه كاسيلا اللغنى الفلورنسى المشهور ، الذى طفق يعلأ
 الفجر بأغنياته الحلوة يحمي بها دانتى ، لولا أن استحمها كاتو
 فانطلقا يهرولان شطر الجبل (٣) وينظر دانتى فلا يرى إلا خياله ،
 حين تشرق الشمس ، منبطحاً على السفح وراه ، فيزعج ويحسب
 أن فرجيل قد غادره ورحل ، ولكن فرجيل بطنه ، ويخبره أن
 أرواح الموتى إن هي إلا أضواء شفاقة لا تكون لها ظلال كما لأهل
 الدار الفانية . ويلتان منحدرأ صمباً لا يستطيعان تسلقه ، ولكن
 بعض أرواح الموتى تدلها على شِمب ضيق فينفذان منه ويلقيان
 فيه الملك منفريدى ملك نابلى الذى يمرق دانتى ، ويرجوه ، إذا
 رجع إلى الدار الأولى ، أن يلقى ابنته كونستازا ملكة أراجون
 (١) الأرقام التى تتخلل الكلام من أرقام الفصول التى يتركب منها المطهر

وبحذوها عن حكاية مقتل والدها التاعس الذى لا يدرى أحد كيف
 قتل (٤) ويُصعدان في الجبل ، في طريق كلما تؤى وركام
 وأحجار ، ثم يجلسان عند منمرج يستريحان مما عراهما من
 نصب ... حيث تهتفُ بهما بعض أرواح الموتى ، ويعرف بينها
 دانتى روح صديقه بيلا كوا ، الذى يحدّثه أنه استحق أن يكون
 خارج الفردوس دهرأ لأنه لم يسجل بالتوبة قبل موته إلا حين
 أدركه النون . (٥) وينطلقان ، يلقيان أفواجاً ممن لم يعجلوا
 بتوبتهم فأهلوا عن دخول الفردوس كما أهل بيلا كوا .
 (٦) ويلقيان أفواجاً أخرى فتكسب حول دانتى ، تتالم
 وتبكي ، وترجوه إذا عاد إلى الدار الأولى ، أن يبلغ أهلهم تحياتهم ،
 وأن يرجوهم أن يستكثروا لهم من الصلاة والثناء ، عسى أن
 يخفف عنهم ، وأن يسجلهم إلى الجنة ؛ ويتمجب دانتى ، ويسائل
 فرجيل « وماذا تفيد هؤلاء صلوات أهلهم ؟ وهل للانسان
 إلا ماسى ؟ » ، ولكن فرجيل يذكر ياتريس ويذكر أن
 صلاة دانتى قد نفعها ، وقد صلت بها إلى الفردوس . ثم يلقيان
 سوردلو ، فيشكوا إليه دانتى تذاب الايطاليين وتقاطهم وقلة
 اهتمامهم بجمع كلمة إيطاليا وانهاض الامبراطورية الرومانية .
 (٧) ويرضى الليل سدوله فيتقدم سوردلو ليهديهما سواء المسيل
 فيدلها إلى منمرج مزهر يريان فيه أرواح بعض الملوك والأمراء
 كالامبراطور رودولف ، وأوتوكار ملك بوهميا ، وهنرى الثالث
 ملك إنجلترا ... الخ ... ويتحدث دانتى إلى بعضهم (٨) ويتنزل
 لسكان عظيمان من السماء ، في يد كل منهما سيف من نور
 فيجرسان الوادى ، ولكن سوردلاو يستأذنها فيأذنان له ،
 فيقود الشاعرين إلى شخب جميل يلقى فيه روح نينو قاضى جاليورا
 فيكلمه دانتى في بعض ما كان من مشكلات الدنيا ، ثم يلقى أحد
 إخوانه من الموتى فيتنبأ له عما سيلقاه من نقى وتشريد وتزع من
 الديار حين يمود إلى الدنيا (٩) وينام دانتى ، ثم يصحو بمسد
 الشروق بساعتين فيجده قد حمله من يدعى لومسيا إلى باب المطهر
 حيث بأذن لهم حارسه ، وهو من الملائكة ، باجتيازهم .
 (١٠) ولا يدري كيف ينتكس دانتى فيعطينا في المطهر صورة
 من أشنع صور الجحيم في هذا الفصل العاشر ... فيمد أن يجتازوا
 (سوردلو وفرجيل ودانتى) طريقاً حلزونياً حول صخرة كبيرة

يشرمون على واد سحيق مكتظ بأهل الكبرياء والخيلاء من موقى
الدار القانية وقد وقفوا فيه وفوق كواهلهم حجارة ضخمة من
الرخام ينوؤون تحتها ويتضاعفون ويكون (١١) ويعمرن بأقوام
من أهل الدنيا القانية قضى عليهم كبرهم أن يؤخروا في منزلت
سبب عن الجنة جزاء سلفهم في دار الفرور (١٢) ثم يتقدم
إليهم ملك فينقلهم من دارة الطهر الأولى إلى داره الثانية .
(١٣) حيث أهل الحسد والحقد والغيرة ... وقد سخط أعينهم
بسلك من حديد ، ويجد دانتى من بينهم السيدة سايا السينية
التي تتحدث إليه فتخبره عن سبب مخلقها هنا . (١٤) ثم يلقى
واحداً من سكان وادى الأرنو (النهر الذى تقع عليه فلورنسا)
فيحدثه عن سبب انحطاط الفلورنسيين وسائر سكان هذا الوادى ،
ثم انحطاط الناس في رومانا ويمضى الشاعران بين ضييج
الأرواح الهائمة ، تلفظ جميعاً بهراء من الحسد والأحقاد القديمة
(١٥) ويحدثهما ملك كريم إلى الدار الثالثة من الطهر حيث
تطهر الأرواح من سورة الفضب والجوح الدنيوى ، وبعد أن
يكلم دانتى بعض هذه الأرواح السادرة ينشر شباب كثيف يمشى
الوادى ، ويضل فيه الجميع (١٦) ويتعرفون الطريق على أصوات
الأرواح التي تصلى لبارئها ، ثم يبرز من الضباب روح جرىء
(ماركو لومباردو) فيكلم دانتى ويقول أن الله القدير قد وضع في
كل نفس إرادة حرة تهدي إلى الرشد أو تتنوى إلى الضلال ،
وأن نساد الدنيا هو الثمرة لهذا الزيج غير المتكافئ في نفوس
الحكام من القوى الروحية والشهوات الحسية (١٧) وينجاب
الضباب ، أو هم يخلصون منه آخر الأمر ، ويتقدم إليهم ملك
جميل فيقودهم إلى الدار الرابعة من دارات الطهر ؛ حيث يقرأ أهل
الكسل وعدم المبالاة ليخلصوا من أدرانهم (١٨-١٩) ويتحدث
فرجيل حديثاً طويلاً عن الحب ، فيقسمه إلى حب طهرى وحب
شهوى ، ويمزو إلى الأول كل ما يصدر من خير وإلى الثانى كل
ما يعمخ الحياة من شر ؛ ثم يتقدم ملك آخر إلى الدار الخامسة
حيث يطهر الطامعون وجماعو المال من خبثهم ، ويلقى بين هؤلاء
البلبا أدريان الخامس فيكلمه (٢٠ - ٢١) ويلقى دانتى الملك
هوج كانت من ملوك فرنسا فيحدثه هذا عن أحفاده وذراريه
من ملوك ذلك البلد . ثم يزول الجبل ويمجد عن عليه قهتف

الأرواح الهائمة على جنياته : الحمد لك يارب . . . العظمة لك
يا الله ! . ثم يتقدم إلى الشاعرين روح قد تم تطهيره وأخذ
طريقه إلى الفردوس ، ويدعى ستاتيوس فيشرح لها سبب الزلزلة
السالفة ثم يتقدم إلى فرجيل فيعرفه ويكاد يطير من الفرح للقائه
(٢٢) ويحب الثلاثة في طريقهم إلى الدارة السادسة حيث يظهر
النهومون وأهل البطننة ، وحيث يرون شجرة (٢٣) بأسفة ذات طلع
نضيد وفاكهة حلوة يفوح أرجحها ، وفي أوراقها أرواح تذكر
الله وتسبح بحمده ، وتشكر له ما رزقها من عفة (٢٣ - ٢٤
- ٢٥) وينظر دانتى فيرى روح صديقه فوريز الذى ينتقد
بشدة هذا اللبس الجديد الشاذ الذى أخذه أهل فلورنسا ، ثم يرى
دانتى جماعة من أسدقائه المتلبثين في المطهر ومنهم خصمه السيامى
الكبير كورسو دوناتى ، ويصل الثلاثة إلى شجرة أخرى تخرج
من بين أوراقها أصوات رائحة تردد أمثلة في النهم ، ثم يتقدم إليهم
ملك فيهديهم إلى الدارة السابعة والأخيرة من الطهر حيث يظهر
أولئك الذين كانوا لا يستطيعون كبح نفوسهم وضبط عواطفهم
ساعة الفضب . وهم يطهرون نمة في نار حامية (٢٦ - ٢٧) وترى
الأرواح الهائمة في النار ظل دانتى على القلب فدهش لوجود حى
من بنى الدار القانية في هذا المكان الأخرى القدس ، ثم يتقدم
إليه روح صديقه جيديو جوينيشبلى الشاعر الايطالى المعروف
فيتحدث إليه برهة كما يتحدث إليه روح آخر . ثم يتقدم ملك
كريم عبر الناز إلى المراج المؤدى إلى السماء .. جنة الأبرار ..
ولكن الليل يقبل ، فيجلس الثلاثة (فرجيل ودانتى وستاتيوس)
عند حنية رخية النسيم ، حيث ينام دانتى فيرى رؤيا جميلة . ثم
يهب مع الصباح فيودعه فرجيل ، ويترك له الحرية الكاملة
للتجول في السماء حتى يلتقى بياتريس (٢٨) ويذهب دانتى
في السماء صعداً حتى يبلغ القبة الفردوسية الأوارقة ، ولكن نهراً
من أنهارها يحجز بينه وبين فتاة لاهية هيفاء وقفت في روضة
ناصرة تقطف الأزهار ذا الشذى ؛ فيكلمها دانتى ، ولكن الفتاة
تأخذ معه في شرح جغرافية هذا المكان ، وتخبره أن هذا النهر
الذى يفصل بينهما هو نهر ليث (٢٩) ، وأن يكن اسمه يونون في مكان

(١) تعب هذه العبارة سدرة اللتى التي سياتى ذكرها في الكلام
من المراج نلت نظر القارىء لذلك
(٢) من أنهار الجيولوجيا اليونانية ، فليتنبه القارىء

أُنرليبات

أبو بكر بن العربي للأستاذ عبد الرحمن البرقوقي

ترجم اليوم لامام عظيم من أئمة المسلمين ، وعلم من أعلام هذا الدين ، الذين أنجبتهم الأندلس فيمن أنجبت ، فأثروا في العلوم الإسلامية تأثيراً ، ونظروا فيها تنظيراً ، وفصلوا ما أجل منها تفصيلاً ، وسجلوا من ثم أسماءهم في سجل الخلود تمجيداً .. هذا الامام هو العالم الحافظ الأصولي المحدث الفقيه الأديب الثبت الثقة أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد المعافري الاشبيلي الأندلسي المعروف بالقاضي أبي بكر بن العربي .. نجّل هذا الامام^(١) أبوان كريمان فاضلان مُسرقّ لهما في الفضل والكرم ، ومن ثم تداركته أعراق صديق وكان منه هذا النافذة العظيم ، ولا جرم ، فان للورثة أثرها ، وللبينة أثرها البالغ كذلك ، هياها قدر من الله نافذ ، وخط في أم الكتاب مسطور ، وذلك أن أم المترجم له هي بنت أبي سعيد عبد الرحمن الهوزني صاحب صلاة الجماعة بقرطبة في مهدي عبد الرحمن الداخل وابنه هشام ، وهو رأى أبو سعيد والد أبي القاسم الحسن الهوزني أحد العلماء الأعلام والسروات النابهين ، وهو - أي أبو القاسم - والد أبي حفص عمر ابن الحسن الهوزني الكاتب البارح الألمى . أما أبو المترجم له فهو أبو محمد عبد الله بن محمد أحد فقهاء أشبيلية ورؤسائها ، وكان له عند العتمة بن عباد أعظم ملوك الطوائف وعند أبيه المعتضد من قبله منزلة باسقة . . . ولما انتقضت دولة العتمة بن عباد وسائر ملوك الطوائف باستيلاء يوسف بن تاشفين ملك مراکش على الأندلس خرج أبو محمد ومعه ابنه المترجم إلى الحج ، وذلك سنة ٤٨٥ هـ - سنة ١٠٩٢ م - وسن المترجم له إذ ذاك زهاء سبعة عشر عاماً ، إذ كان مولده سنة ١٠٧٥ م ، وقد تأدب المترجم بأشبيلية قبل ارتحاله مع أبيه وقرأ القراءات وسمع أباه وخاله أبا القاسم الحسن الهوزني وأبا عبد الله السرقسطي وغيرهم ، وفي ذلك يقول من كتاب له : « حذقت القرآن ابن تسم

(١) تجلّه ولله

آخر (٢٩) وتخطر الفتاة ، في عكس مجرى النهر ، ويمشي دانتى تلقاءها ، ويتحدثان حديثاً مشجياً ، ثم يسمعان موسيقى بييدة فينظران ، فاذا حفل حاشد في أديم الفردوس يلوح في الأفق . (٣٠) وتمضى لحظة ، واذا ملاك كريم يتيه في شقوق بيض ينزل من السماء الى مسرى دانتى ، وينظر الشاعر ، فيرى حبيته يياترس هي هذا الملاك الطاهر فيكاد يجن من الفرح ... ولكن يياترس تأخذه في عتاب حلو وعذل رفيقه (٣١) فيعترف الشاعر أنه مخطى في كل ما أخذت عليه حبيته ، ويركع بين يديها مستندراً ثم يسجد سجدة طويلة باكية ، وتتقدم اليه ماتيلدا - الفتاة السابقة - فتأخذ يده ، وتخوض به ليج ليث ، ثم تقدم اليه أربع عذارى فانتات ، يمثلن الفضائل الكنسية ، وهؤلاء يقدهن الى جريفون ، رمز الخلد ، السيد المسيح ، والى ثلاث عذارى أخريات يمثلن الفضائل الانجيلية ، وهؤلاء يقدمنه الى يياترس التي تسمى دانتى جالها الخلق ، وتشغفه بجالها الروحي (٣٢ - ٣٣) وينطلق الجميع (دانتى وماتيلدا وستاتيوس ويياترس) ويحذرون دانتى ألا يحدق النظر في حبيته لئلا يمشى بصره من شدة لألائها . ثم يصلون الى دوحة عظيمة هي شجرة المعرفة التي أكل منها آدم وطرده بسببها من الجنة ، فيرى الى أطيار وأشباح غريبة تهبط من عل فتكون فيها ، ويتبين منها دانتى بازيا ونسراً وتعلبا وتيننا . . . وتتقدم يياترس الى الشجرة هي والعذارى السبع فيشدهن أنشودة من أناشيد الجنة ، ثم يمضى الجميع وتكلم يياترس دانتى ، فتكشف له عن شؤون غيبية ستحدث له في النار الغاية حينما يعود اليها . ويكونون عند النبع الأكبر الذي يفترق عنده النهران ليث ويونو ؛ وهنا تشير يياترس الى ماتيلدا فتتقدم هذه الى دانتى وتسقيه جرعة من مياه يونو ، التي تكون هي وأمواه ليث عظمة الآله وحكمته وجبروته

(للبحث بية)

د . غ

مجموعات الرسائل

من مجموعة السنة الأولى مجلدة ٥٠ قرشاً مصرياً عدا اجرة البريد
من مجموعة السنة الثانية (في مجلدين) ٧٠ قرشاً عدا اجرة البريد
من مجموعة السنة الثالثة (في مجلدين) ٧٠ قرشاً عدا اجرة البريد
وأجرة البريد عن كل مجلد في الخارج ١٥ قرشاً